

وهل يُغلق باب التوبة؟! بقلم فضيلة الشيخ ميثم الفريجي



وهل يُغلق باب التوبة؟

بقلم فضيلة الشيخ ميثم الفريجي

بسمه تعالى

ينبغي للانسان العاصي أن يُعلن توبته الصادقة ، ويستغفر لذنبه ، ويعزم على عدم العود إلى المعصية - على كل حال وفي كل آن - ، فإذا فعل ذلك ، فسيتوب الله عليه ، ويتقبل توبته لأنه تعالى قد وعد بذلك وقال : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾

وإنه تعالى ليفرح بتوبة عبده ويجعله محبوباً لديه

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (البقرة / 222)

وأن رحمة الله قد وسعت كل شيء ، وفاضت على مخلوقاته لذا ترك باب التوبة مفتوحاً لعباده ، كما جاء في مناجاة التائبين للإمام زين العابدين وسيد الساجدين عليه السلام : ((إلهي اِنزِلْ السَّيِّئَاتِ فَتَدَحِّتْ لِعِبَادِكَ يَا أَلِيَّ عَفْوِكَ سَمَّيْتَهُ التَّوَّابَةَ ، فَقُلْتُ تَوْبُوا إِلَيَّ تَوَّابَةً نَصُوحاً ، فَمَا عُذْرُ مَنْ أَغْفَلَ دُخُولَ الْبَابِ بَعْدَ فَتْحِهِ))

وإنما العبد هو الذي يُغلق هذا الباب على نفسه ، وذلك بأحد أمرين :

الأول : أن يصرَّ على الذنب ، ولا يصدق في التوبة أمام الله تعالى ، فيذنّب ويترآى له أنه قد تاب ثم يرجع للذنّب مرةً أخرى فضلاً عن ذاك الذي لا يدنوا من فيض التوبة أبداً ، فهذا هو الذي قد سد الباب على نفسه فتراكمت الذنوب والآثام على قلبه ، فلا يوفّق للتوبة أبداً

قال تعالى : ﴿ كَذَّبَ بَلَّ رَّانَ عَمَلَى قُلُوبِهِمْ مَّسَّ كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (المطففين / 14)

وكذلك قول الإمام الصادق (عليه السلام) : ﴿ مَا مِنْ شَيْءٍ أَفْسَدُ لِلْقَلْبِ مِنْ خَطِيئَةٍ ، إِنَّ الْقَلْبَ لَيَوَاقِعُ الْخَطِيئَةِ فَمَا تَزَالُ بِهِ حَتَّى تَغْلِبُ عَلَيْهِ فَيَصِيرُ أَعْلَاهُ

وفي الحديث عن الباقر (عليه السلام) : مَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَفِي قَلْبِهِ زُكُوتَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ ، فَإِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا خَرَجَ فِي تِلْكَ الزُّكُوتَةِ سَوْدَاءٌ ، فَإِذَا تَابَ ذَهَبَ ذَلِكَ السَّوَادُ ، فَإِنْ تَمَادَى فِي الذُّنُوبِ زَادَ ذَلِكَ السَّوَادُ حَتَّى يَغْطِيَ الْعَبْدَ ، فَإِذَا غُطِّيَ الْعَبْدُ لَمْ يَرْجِعْ صَاحِبُهُ إِلَّا خَيْرَ أَبَدًا ، وَهُوَ قَوْلُ الرَّبِّ وَجَلَّ : (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)

الأمر الثاني : أن يبقى مداوماً على ذنبه حتى يداهمه الموت ، بمعنى أنه لا يصدق التوبة مع الله تبارك وتعالى حتى يعاين فإن عاين لم يعد مجال للتوبة فقد خرج من عالم التكليف إلى عالم الحساب

قال تعالى : وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ (سبا / ٥٧)

وقوله تعالى : يُدْرِكُهُمُ الْعَمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ (النساء / ٧٨)

وكذلك في الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال : إن آدم عليه السلام قال : (يا رب سلطت علي الشيطان ، وأجريتني مني مجرى الدم فاجعل لي شيئاً ، فقال : يا آدم جعلت لك إن من هم من ذريتك بسيئة لم تكتب عليه ، فإن عملها كتبت عليه سيئة ، ومن هم من عملها كتبت له حسنة فإن لم يعملها كتبت له حسنة فإن هو عملها كتبت له عشرة ، قال : يا رب زدني ، قال : جعلت لك إن من عمل منهم سيئة ثم إستغفر غفرت له ، قال : يا رب زدني ، قال : جعلت لهم التوبة - او قال بسطت لهم التوبة - حتى

تبلغ النفس هذه ، قال : يا رب

حسبي) .

وبعد كل ذلك ، فَمَا عُدُّرُ مَنْ اَغْفَلَ دُخُولَ الْبَابِ بِعَدِّ فَتَحِهِ .